

الفصل الثاني

مناهج البحث في النظرية السياسية

١- المنهج القياسي والمنهج الاستقرائي :

تتراوح طرق البحث منذ اليونان حتى الآن بين المنهج القياسي لافلاطون والمنهج الاستقرائي لارسطو والذي لم يستطع هو الآخر أن يبتعد كلية عن المنهج القياسي . وتاريخ المعرفة السياسية منذ عصر هذين الفيلسوفين حتى عصرنا الحديث هو قصة محاولة إنصرافهما عن المنهج القياسي التجريدي إلى منهج إستقرائي تجريبي .

إن افلاطون يبرر منهجه القياسي بإعتبار الدولة صورة للفرد ، ولذا فإن العدالة في الدولة هي صورة مكبرة للعدالة لدى الفرد ، وعدالة الاثنين واحدة ، ولكن الدولة أوسع وأوضح ومن ثم يقترح افلاطون أن نبحث عن طبيعة العدالة والظلم كما يظهران في الدولة ، ثم نبحثهما لدى الفرد فنتنقل بذلك من الأعم إلى الأخص ثم نقارن بينهما . وعموما فإنه تنبغى الإشارة أنه إذا كان المنهج العلمي السائد اليوم في التطبيق في علم السياسة منهجا تجريبيا ، الا أن المعرفة العلمية لا تتقدم بدون إفتراضات نظرية قد تثبت التجربة صحتها أو تثبت بطلانها .

وفي القرون الوسطى والاسلامية برز المنهج الاستقرائي في البحث السياسي من خلال الدراسة التاريخية أو القانونية للدولة أكثر مما ظهر في دراسات الفلاسفة أو المفكرين الذين ساروا على نمط أفلاطون وأرسطو . ويعتبر ابن تيمية وإبن خلدون ، من أبرز المفكرين الإجتماعيين المسلمين الذين نقلوا المنهج القياسي الأرسطوي ، وكانوا

يرغبون فى العودة إلى المنهج السلفى وإستبعاد دراسة الفلسفة والمنطق فعطلوا بذلك ظهور منهج تجريبى من النقد ، والذي به تتضح العلوم الطبيعية والاجتماعية نضوجا متواصلًا ، فابن خلدون يرى ضرورة إدراك الوقائع التاريخية على حقيقتها وتحريرها من أوهام المؤرخين ، ومع ذلك فإن فريقا من الباحثين يعتبرون مقدمة ابن خلدون كتاباً فى أصول علم التاريخ أو دراسة فى المنهج التاريخى بإعتبار ما ذكره ابن خلدون من " أن فن التاريخ هو فن عزيز المذهب جم الفوائد ، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الباحثين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم " ، وهكذا تجد أن المنهج التاريخى يؤكد على دراسة تاريخ النظام السياسى حيث أنه يلم بالاحداث السياسية التى أدت إلى إقامة تلك النظم ويربطها بالافكار التى كانت سائدة آنذاك .

ومن المناهج الأخرى المستخدمة فى تحليل الظواهر والاحداث السياسية المذاهب الآتية :

١- المذهب القانونى : حيث يركز الباحث على دراسة الاوضاع الدستورية فى الدولة من حيث علاقات أجهزة الحكم ومؤسساته ببعضها واختصاصاتها ووظائفها ودراسة الحقوق والالتزامات التى ينشئها الدستور ويقررها للأفراد .

٢ - المذهب الإجتماعى : حيث يحاول الباحث أن يبحث مكانة الظواهر السياسية ونظمها عن غيرها من الظواهر فيبحث الظواهر السياسية وعلاقتها بالحياة الاجتماعية .

٣ - المذهب الفلسفى : حيث يحاول الباحث التركيز على بحث القواعد الاساسية التى تحكم الظواهر السياسية فتكون دراسة مركزة على الفكر السياسى وعن أصلح حكومة لمجتمع ما .

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة علم السياسة فى عالمنا العربى المعاصر تتخذ عدة أساليب ففى مصر تسود المدرسة العلمية السياسية بإعتبار السياسية علماً قائماً بذاته وقد سار عدد من الاساتذة المصريين فى هذا الطريق ، كما توجد المدرسة القانونية الدستورية والتي تعتبر دراسة السياسة جزءاً من القانون الدستورى ، هذا الاسلوب يتبعه معظم أساتذة القانون الدستورى فى العالم العربى ، ثم تأتى طريقة الدراسة المنهجية للنظم والنظريات السياسية الاسلامية ، وقد بدأ بها المستشرقون أول الامر ، ثم الكتاب العرب ، وأخيراً توجد المدرسة الخلدونية وهى امتداد لمنهج ابن خلدون ، وقد حاول جورجى زيدان السير على منهجه ، فى مجموعة دراسات للدولة نشرت سنة ١٩١٣ ، والخلاصة إن الاستعانة بالمنهج العلمى فى الدراسات السياسية - وأيا كانت المذاهب المستخدمة إنما يمثل مطلباً حيوياً مع الاخذ فى الاعتبار الطبيعية الديناميكية المعقدة للسلوك الانسانى فضلاً عن كثرة المتغيرات غير المنظورة التى تحد من القدرة على التنبؤ فى مجال التحليل السياسى ، فهناك مشكلات ناتجة عن فقد الظواهر السياسية وأخرى نتيجة لعنف الجانب التجريبي لعلم السياسة ، كما أن هناك مشكلات ناتجة عن تعذر إستخدام وسائل القياس الكمى فى مجال التحليل السياسى نظراً لمرونة علم السياسة وعدم محدوديته ، حتى أن أحد الباحثين يرى أن علم السياسة ليس سوى إسما أطلق على مجموعة من الموضوعات ذات الاختصاص والتي تتصارع فى ميدان واحد للبحث ، وطبقاً لهذا الرأى فإنه يوجد علوم سياسية بدلا من علم السياسة . وقد يكون من المفيد بعد إستعراضنا للمنهج الاستقرائى ، تحليل المناهج المتعددة والمعارضة لعلم السياسة ، والتي تدور بين النظرية التجريبية والنظرية العرفية .

٢ - المنهج التاريخى جورج هـ سابين Sabine

إن أفضل من يمثل المنهج التاريخى أو التقليدى فى علم السياسة هو جورج هـ. سابين ، ويستهل سابين تعريفه لعلم السياسة بصورة محددة جدا فهو يقترح أن ندمج فى علم السياسة جميع الموضوعات التى كانت مثار مناقشة فى كتابات فلاسفة السياسة المشهورين من أمثال أفلاطون وأرسطو وهوبز ولوك وروسو وبينتام وميل وجرين وهيجل وماركس وآخرين ، وعندهم سوف نحاول أن نبحث عن تلك الاستئلة التى أثاروها حول صحة أو سلامة النظريات السياسية وأستئلة تتصل بالفضائل أو المثل المراد تحقيقها فى الدولة ومعنى الحرية ، ولماذا ينصاع الناس للحكومة ومجال أنشطة الحكم ومعنى المساواة .. تلك هى بعض الاستئلة أو القضايا التى اثارت أذهان فلاسفة السياسة على مدى عصور التاريخ . بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نعمل حصراً للاستئلة أو القضايا التى اثارت أذهان فلاسفة السياسة على مدى عصور التاريخ . بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نعمل حصراً للاستئلة التى تختص بالدولة ، والعلاقة بين الدولة والمجتمع ، وبين الفرد والدولة ثم نناقشها فى النهاية إذا لم تكن قد نوقشت مناقشة مستفيضة من جانب فلاسفة السياسة . وتمثل هذه الامور أسس النظرية السياسية ، طبقا لفكر المفكرين التقليديين . ولقد ربط سابين Sabine وكتاب تقليديون آخرون أهمية كبرى بالمنهج التاريخى . والنظرية السياسية - عند سابين - هى دائما سابقة بالنسبة لموقف معين محدد " ولذلك فإن عمليات إعادة بناء " الزمن والمكان والظروف التى تنشأ فيها " شئ ضرورى لفهمها . إن حقيقة أن النظرية السياسية هى دائما متصلة فى " موقف معين محدد " لا يعنى أن لها علاقة بالزمن المستقبل . إن النظرية السياسية الكبرى تتميز وتتفوق فى كل من "

تحليل الموقف الحالى والايماء بمواقف أخرى " وبذلك إن النظرية السياسية الجديدة - حتى العصور المقبلة ، انها بالضبط تلك الصفة العامة للنظرية السياسية ، والتي تجعل منها شيئاً جديراً بالإحترام . إن النظرية النموذجية تشمل حسب تصور سابين - عبارات تصف حال وأوضاع تؤدى الى نشأتها (ب) عبارات تدور حول " مايمكن أن نطلق عليه تجاوزاً " الطبيعة العرضية " (ج) عبارات تشير الى أن شيئاً يجب ان يحدث أهو الصواب فى أن يحدث أم هو الذى يستحسن أن يحدث " إن النظريات السياسية - على ذلك تشكل - طبقاً لرأى سابين عناصر : الواقع والعرضى والقيىمى ، وفى النظريات السياسية ذات الدلالة الكبرى قد ظهرت فى فترات الشدة وفى تاريخ العلوم لنا على إمتداد ٢٥ قرناً ظهرت فترتين مدة كل منهما ٥٠ سنة فى مكانين مختلفين ازدهرت فيها النظرية السياسية كثيراً فى أثينا فى النصف والرابع الثالث من القرن الرابع الميلادى عندما كتب أفلاطون وأرسطو أعمالهم الكبرى وفى انجلترا بين أعوام ١٦٤٠ - ١٦٩٠ عندما ظهر هوبز ولوك وآخرون - طوروا نظرياتهم السياسية وهاتان هما الفترتان للتغير العظيم فى التاريخ الفكرى والإجتماعى فى أوروبا . ويرى سابين Sabine أن النظريات السياسية الكبرى لا تنشأ عن أزمة بهذا الكيف ، ولكن من خلال ردود الفعل التى تتركها على عقول المفكرين . ولكى نفهم نظرية سياسية - على ذلك ويجب أن نفهم العصر الذى نشأ فيه بوضوح كذا المكان والظروف الملائمة لذلك . وقد لا يشترك الفيلسوف السياسى فعلاً فى سياسة عصره ولكنه يتأثر بها وبالتالي يحاول أن يؤثر فيها ، ويرى سابين أن النظريات السياسية " تلعب نورا مزوجاً " بمعنى أنها فى الوقت الذى تنتمى فيه إلى عالم الفكر المجرى ، إلا أنها تؤثر على العقائد والمعتقدات التى تصبح أسباباً وتحتد كأحداث عرضية فى المواقف

التاريخية . ومن الضروري كذلك فهم ما إذا كانت النظرية السياسية صحيحة أو زائفة ، سليمة أو سخيفة ، يمكن التعويل عليها أم لا . ويتضمن هذا مسألة ومن الضروري لذلك ولكي نفهم النظرية السياسية يجب ان نحاول أن نجتمع بين الواقعي والعرضي والقيمي .

لقد عالجتنا الان كيف ان سابين Sabine سمي " البناء المنطقي للنظرية السياسية " وعلينا أن نفكر في " مكوناتها النفسية " إن النظرية السياسية ليست تدريجياً في فراغ فكري ، إذ القصد فيها التحريض والاقناع ، والغرض من التحريض دائما موجود أمام من يقوم بتنظير السياسة . إن بعض ما يصفه الكتاب المحدثون بفولكلور الفلسفة " أو حتى مجرد " الايديولوجية " أمر حيوي لفهم النظرية السياسية إن العقائد التي ولدها فلاسفة السياسة . بصرف النظر عن صحتها أو زيفها - لها تأثيرها على التاريخ . إن كل نظرية سياسية - حسب رأى سابين - هي " حقيقة جوهرية تماماً ، تحدث في خضم الحقائق التي تشكل موقفاً سياسياً معيناً . وهي على هذا النحو لها أسبابها كما أن لها نتائجها أيضا بصرف النظر عن صحتها أو زيفها . إن النظرية السياسية لذلك يمكن الحكم عليها بطريقتين :

- كتنظرية يمكن أن يوجه اليها الإنسان النقد المنطقي وان يحلل معناها وأن يبرز أوجه القصور فيها . ولكن كسبب للأحداث قد يحاول الإنسان أن يكتشف أي طبقة من المصالح، تمثل أو أي دافع لدى المفكرين السياسيين حدث بهم إلى ذلك . ولكن عندما تناقش النظرية السياسية - كسبب أو كمجموعة من المعتقدات تؤدي الى أحداث ووقائع معينة يجب ألا نخلط بينها وبين المظهر التجريدي لها . ويجب ألا نخلط كذلك بين مظهرى النظرية السياسية : المظهر الذى تكون فيه جزءا من عالم الفلسفة أو الفكر المجرد والمظهر الذى تكون فيه جزءاً من بيانات ومعلومات

عن السياسة . ومن الضروري أن تميز بين الحقائق والقيم إلى جانب وجود فكر مستقيم متماسك في كل منهما . إن النظرية السياسية على ذلك تشمل - حسب رأى سايبين - على كل من الفكر السياسى والفلسفة السياسية وعلم السياسة .

٣ - المنهج السوسولوجى (الخاص بعلم الاجتماع) :

جورج أى كاتلين Catlin لقد تعرض المنهج التاريخى عموماً للنقد بأنه يميل إلى النمط التقليدى كما رأى البعض أن يضيق من وجهة النظر إلى السياسة ويقصرها على ساحة الدولة . ولقد حاول العديد من الكتاب المعاصرين توسيع مجال علم السياسة بحيث لا يضم الدولة فحسب بل المجتمع أيضاً ، وهى وجهة نظر تبناها كاتلين Catlin . ويفضل كاتلين إستخدام السياسة بالمعنى الذى تشمل فيه على تلك الأنشطة التى تجرى فى المجتمع . ويعتبر كاتلين أن علم السياسة وتميزه عن علم الاجتماع يعطينا عدداً من المميزات التى تميز هذا المنهج الذى يسمح للدارس أن يعالج العلاقات السائدة فى المجتمع وتركيبه ككل وليست عن طريق الشرائح المصطنعة التى ظهرت فيما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر فى أوروبا والتى توصف هذه الأيام " بالدولة الحديثة " ويربط دراساته بالنظرية العامة للمجتمع والتى يمكن أن يتجاهلها علماء السياسة على مسئوليتهم . الأمر الذى لم يقع فيه أغلب علماء السياسة المحدثين . إذا كان عالم السياسة يعالج الدولة كوحدة تحليل فمن المحتمل أنه يهمل التفاصيل الثقافية والشائعة المترابطة بالأحداث بين يوم وآخر والتى لا يستطيع فهمها ما لم يربطها بما يحدث فى المجتمع . ويوجد عدد كبير من الدول اليوم ولكن لا يمكن إعتبارها وحدات فردية من أجل أغراض التحليل السياسى وعلى الإنسان أن يذهب إلى خصائصها الأساسية ، وإذا قرر عالم السياسة أن يذهب وراء

دراسة المؤسسات ويتحمل مسئولية دراسة للوظائف والعمليات التي يسهل عليه التقاطها كوحدات تحليل - وكاتلين Catlin من جانبه قد أختار دراسة ظواهر السيطرة على أنها مركز دراسة السياسة .

وأجهزة السيطرة أو التحكم التي قد تتخذ شكل سيطرة على آخر أو فرد على جماعة أو جماعة إلى أخرى ، ويرى كاتلين أن هذه السيطرة " تنشأ عن المطالب العادية للكائنات البشرية ولا تظهر إلى الوجود لأن المجتمع يفرض وجودها " .
والسيطرة بهذا المعنى لا يفرضها الشرير على البريء إذ أن الطبيعة البشرية تتطلب هذه السيطرة بل وتفرضها .

وكاتلين catlin على دراية بالمخاطر وإساءة استخدام السلطة وانتطع اليها وأنها المحدد الوحيد للعلاقات السياسية . ويجب ألا تربط بين السلطة والسلطة العسكرية ولا حتى يجب أن تعنى " السيادة " حيثما يقول : كاتلين « وهو خطأ وقع فيه هانز مورجانتو » ، إذ يقول إن سياسة السلطة ليست سيئة في حد ذاتها ولكن تدمير سياسات السلطة هو الخطأ كما ذكر مورجانتو في أعماله الأولى حتى التعاون يمكن أن يكون صورة من صور السلطة ، إن التمييز بين علم الاجتماع وعلم النفس - على اعتبار السلطة خاصيته الرئيسية - فإن كاتلين يفضل علم السياسة على أنه أقرب إلى هذه المبادئ . وعلى الرغم من اعترافه بون خجل بأنه " سيكولوجى " بالمعنى الذى يراه جراهام وألاس وجيمس برايس الا أنه أقرب الى ميريام Merriam ولاسويل مؤسس المنهج السلوكى ويعرف لاسويل علم السياسة بأنه " دراسة المشاركة فى السلطة وتشكيلها " وهو تعريف يقبله كاتلين والفرق الوحيد أنه يفضل تسميتها ظواهر السيطرة على جميع المجال الاجتماعى مع وجود " إفتراض غير مفهوم يدفع نحو السلطة " .

٤ - المنهج الفلسفي ليوشتراوس Leo Strauss :

بالإضافة إلى وجهات النظر التقليدية والمعاصرة بشأن علم السياسة توجد وجهة نظر ثالثة يقدمها شتراوس ويمكن وصفها بالمنهج الفلسفي ويميز شتراوس بين النظرية السياسية والفلسفة السياسية ويرى ان كليهما جانبان من الفكر السياسي . والنظرية السياسية عنده " هي محاولة معرفة طبيعة الاشياء السياسية بصدق " .

وحيث ان الفلسفة هي " البحث عن الحكمة " أو عن المعرفة العامة الشاملة من أجل الجميع " إلا الفلسفة السياسية " هي محاولة معرفة طبيعة الاشياء السياسية بصدق الى جانب معرفة النظام السياسي الصحيح " ويمتد الفكر السياسي إلى كل من النظرية السياسية والفلسفة السياسية والنظرية السياسية والفلسفة السياسية يكملان بعضهما البعض لأنه " لو نظرنا عموماً فإنه من الصعب فهم الفكر أو العمل نون تقيمة " . ويعتقد شتراوس كلا من المذهب التاريخي ويمثله سابين وتجريبية العلوم الاجتماعية التي كان يدافع عنها كاتلين وقد وصفها شتراوس بأنه " الخصم الكبير للفلسفة السياسية " .

ويرى شتراوس أن القيم جزء لا يمكن الإستغناء عنه في الفلسفة السياسية ولا يمكن إستبعادها من السياسة . إن كل العمل السياسي يهدف إما إلى المحافظة أو الى التغيير، ويوجهه في ذلك فكر أو تقييم ما لما هو أفضل وما هو أسوأ وبتوقع أن يتوفر لدى عالم السياسة أكثر من مجرد الرأي . فلا بد أن تتوفر لدى المعرفة معرفة الخير للحياة والمجتمع . " إذا كان هذا التوجه يصبح أمراً ظاهراً صريحاً وإذا جعل الناس هدفهم إكتساب معرفة الحياة الصالحة

للمجتمع الصالح فمن هنا تظهر الفلسفة السياسية " " وان المزايم حول طبيعة الأشياء السياسية والتي تتضمن معرفة تلك الأشياء " هكذا يقول شتراوس " لها طابع الآراء . وأنه إذا أصبحت تلك المزايم فقط موضوعاً للتليل النقدي تنشأ حينئذ المناهج الفلسفية أو العلمية في السياسة أن الفلسفة السياسية عنده هي « محاولة إستبدال رأى عن طبيعة الأشياء السياسية بمعرفة طبيعة تلك الأشياء وهي « المحاولة الحقة لمعرفة كلاً من طبيعة الأشياء السياسية والنظم السياسية والنظام السياسي الصحيح إن الفلسفة السياسية بهذا الشكل الشامل قد نشأت منذ بدايتها وبدون إنقطاع - حتى بعد بداية السلوكيين وإثارتهم المشكلات حول موضوعها .

وينتقد شتراوس بشدة التمييز المصطنع الذي يحدث الآن بين علم السياسة . وإن التمييز بين الفلسفة والعلم لا يمكن تطبيقه على الشئون الإنسانية . ولا يمكن أن يكون هناك علم سياسي غير فلسفي أو فلسفة سياسية غير علمية . وبالتركيز وكثيراً على المظهر التاريخي لعلم السياسة نجد ان المؤرخين قد فصلوه عن طبيعته العلمية دون حدود ، حاولوا أن ينزعوا عنه جوهره .

٥ - المنهج التاريخي : المميزات وأوجه القصور :

لماذا يجب اعتبار دراسة النظرية السياسية الكلاسيكية جزءاً لا غنى عنه في أى مقرر سياسي وبالإشارة على وجه الخصوص إلى افلاطون وفلاسفة السياسة الآخرين في الماضي . وكون أن يصبح افلاطون موضوع أعنف المحاولات بين الأكاديميين اليوم أمثال بوپر Popper ، وفايث Fite وراسل Rassel ، كروسمان Crossman الذين يقللون من شأنه في معالجة الأخلاق والسياسة وبأنها تنقصها الحيوية والإصرار - نجد في الناحية الأخرى وأيلد

Wild ، وليفنسون Levison وآخرين يدافعون عنه بإقتناع تام وحيوية شديدة - كل هذا يوحى بأن أفلاطون (وإلى حد ما كل فيلسوف سياسى ذائع الصيت) يعالج مشاكل لا تختص بعصره فقط ولكن بكل العصور ودراسته وبهذا المعنى يمكن دراسته المعنى التاريخى - كمرحلة فى تاريخ الأفكار والمؤسسات - وبالمعنى التحليلي حيث أنه يمثل مجموعة من المبادئ أو نظام ممكن من الفروض السياسية التي تم تصورها كمظهر شامل للحياة وخبرة فيها . ويكتب سبلى Sibley « إن الفهم الكامل للظواهر السياسية يمكن أن يشتمل على فهم الطريقة التي صاغ فيها الناس فى كل العصور والثقافات السياسية العامة والأهداف التي أنجزوها أو ظنوا أنهم أنجزوها " ويبقى فلاسفة السياسة الكلاسيكية من أمثال أفلاطون وأرسطو قدراً كبيراً من الضوء على البنية السياسية والتنظيم السياسى والمشاكل السياسية والفروض السياسية الكلاسيكية من أمثال أفلاطون وأرسطو قدراً كبيراً من الضوء على البنية السياسية والتنظيم السياسى والمشاكل السياسية والفروض السياسية وأهداف المؤسسات المعاصرة . يذكر سبلى Sibley إذا كانت دويلات المدن الأغريقية مثلاً ذات دلالة على الطرق التي إنتظم بها الناس سياسياً ، ولذلك فإن المفكرين السياسيين الكاسيكيين يعطوننا بالتأكيد مفاتيح هامة عن كيفية تطورها وكيفية عملها " . ولقد كان أفلاطون وأرسطو أول من وضع فكرة الطريقة " العلمية " فى السياسة إلى جانب أنهما مارسا تأثير كبير فى تشكيل المؤسسات وفى تشكيل الأفكار . إن قدراً كبيراً من البنية التأسيسية للحياة فى العصور الوسطى وكثير من مبرراتها هو فى الأصل أفلاطونى ولكنه لم يتأثر مباشرة بكتابات أفلاطون (والتي فطن أنها فقدت فى الفترة ما بين القرن الخامس والخامس عشر " ولكن عن كتابات شيشيرون Chesheron

وأغسطين Angnstine . لقد تأثرت المدينة الفاضلة * يوتوبيا لتوماس مور
بالتأكيد بجمهورية أفلاطون والقوانين Republic & Laws لقد كان
للأفلاطونية وقع كبير في أواخر القرن وهيجل والمثاليين ، ومن المحدثين يمكن أن
تذكره . ف في . ويلز H. F. Weels وكروسمان Crossman ووانرفايت
Fite وكارل بوبر Popper وكثير آخرين * .

ومع التسليم بأهمية دراسة المفكرين السياسيين الكلاسيكيين يجب ألا ننسى
أوجه القصور في المنهج التاريخي فقد بذلت المحاولات للوصول إلى نصوص
يعتمد عليها وتتبع الاقتباسات والعوامل الشخصية والبيئية وكلها كما نكر
واتكنز Watkins كانت تمثل مساحات البحث التقليدية في مجال النظرية
السياسية : إن عالم السياسة أكثر إهتمام بالسلوك السياسي الجارى وقد يجد
في دراسة ملاحظات وتعمقات مفكرى السياسة الكلاسيك شيئاً من الإتصال
بموضوعه .

٦ - المنهج المتكامل كارل ج . فريدريك

An Integrated Approach : Carl j . Friedrich

من المهم ألا نسمح لعلم السياسة ألا يضيع في خضم العلمية Scienticism
أو الأخلاقية Moralism ومن المهم كذلك أن المظاهر الفلسفية والعلمية
للنظرية السياسية يجب ان تفهماً فهماً جيداً ويتم التركيز عليها . ولكن قبل ان
نحاول أن نفهم المظهر العلمى للنظرية السياسية يجب ان نفهم أولاً ماذا نعنى
بكلمة " علم " قبل أن نحاول أن نفهم ما المقصود بكلمة " فلسفة " لقد أخذ العلم
صفات متعددة على أنه " فرع المعرفة أو الدراسة التى تعالج مجموعة من
الحقائق المنتظمة وأن يبرر كيفية " عمل القوانين العامة ويوصف أيضاً بأنه

معرفة الحقائق المنتظمة وأن يبرر كيفية عمل القوانين العامة ويوصف كذلك بأنه
>> فرع أو جانب من المعرفة " . والمنهج العلمى لدراسة المشكلة - بناء على ذلك
- يتضمن أمرين : (أ) الإتفاق على الأساليب أو الطرق (ب) تدريب الإنسان
على العمل العلمى . ويوضح هذين المظهرين فى الاعتبار يعرف فريدريك -Frie-
drich العلم على أنه " مجموعة من المعارف للمنظمة يعرفها المختصون
ويتوسعون فيها من خلال إتباع الأساليب والطرق التى يتعارفون عليها معا على
انها تقى بالغموض للوصول إلى هذا النوع أو ذاك من المعرفة " والعلم من كل
هذا هو معرفة " منظمة " ونظرا لوجود إتساق بين الطرق والأساليب المستخدمة
فى جميع المعلومات الخاصة بذلك العلم على يد العلماء وهذا يعطيه إتساق
منطقى تصبح التصريحات أو العبارات العلمية تتسم بالصحة والثبات من قبل
العلماء الآخرين وهذا التعريف للعلم والذى من الصعب أن نتحداه لا يذكر لنا
بأنه نفس الطرق والاساليب يمكن تطبيقها على كافة العلوم ولو أخذنا مثالا
بسيطا على ذلك كموضوع التعميم نجد أنه لا يتفق علمان من العلوم فى درجة
التعميم والتى تجعل منهما علمين صحيحين . والطرق التى ثبت نجاحها إلى حد
كبير فى مجال الفيزياء والكيمياء ربما لا يمكن ان تنطبق على علم الفلك ولكن
هذا لا ينقص من علمية علم الفلك . وربما يتبادر الى الذهن أنها
متشابهة - على الاقل - فى المعنى بأن كليهما يعملان على اساس بيانات كمية
دقيقة ، والعلم مع ذلك - لا يتطلب أيضا الإرتباط والكفاية فى النتائج . ولقد
تحول التاريخ إلى علم خلال العقود القليلة الماضية ، ولكن تطور طبيعته "
العلمية " ليس له علاقة بعملية الكم - إنه على أساس الدراسة العلمية
المستفيضة للمصادر والأسلوب النقدي للشواهد هى التى أدت إلى تقدم كبير
فى الأساليب العلمية فى التاريخ . ويوضح فريدريك Friedrich أنه " لا درجة

التعميم ولا التخصيص الكمي في حد ذاتهما معايير "مطلقة" في التقدم العلمي ولكنها يجب أن تفتنم بالنسبة لما هو متاح من المادة العلمية المراد تقديرها " ثم يقتبس قول ارسطو بالقبول ويصفه بأنه دليل على رجل وتعلم ذلك الذي يبحث عن الدقة في كل طائفة من الأشياء بقدر ما تسمح طبيعة الموضوع وعلم السياسة - بصفته نظام شامل - قد لا يحتاج إلى طريقة واحدة بل الى عدة طرق . وعلى عكس علم الاجتماع وعلم النفس - حيث تكون الجماعة والفرد موضوع الدراسة وهي دراسة يمكن ان تتم عن طريق يتصف بالدقة والضبط .. الخ . نجد أن علم السياسة يعالج الدول الاقليمية وهي أكبر شكل منظم من أشكال المجتمع والتي تتغير طبيعتها وصورتها وأهدافها من وقت إلى آخر ومن قطر إلى قطر آخر كما أن كل تغير قد يتضمن نصحاً مختلفاً أو طريقة مختلفة أو خليطاً من المناهج والطرق المختلفة . إن ظهور الشكل الدستوري من الحكومات بالإضافة إلى مبرراته . قد يحتاج نوعاً واحداً من الطرق ، في حين أن ظهور دكتاتورية كلية شمولية يتطلب نوعاً آخر تماما . وفي تاريخ السياسة من الجائز أن يعتمد الإنسان على ما قبل التاريخ وعلى التاريخ وعلى الشعوبية وعلى الأنثروبولوجي وعلم النفس وعلى مناهج أخرى عديدة وقد يتطلب الأمر أحياناً طريقة أو منهاجاً تاريخياً موثقاً وفي حالات أخرى يتطلب دراسة الحالة وتحليلها وفي حالات ثالثة يتطلب إجراء العمليات الإحصائية والمقابلة ، والنظرية السياسية على ذلك يجب أن تستمر في الإستحواذ على الطابع العلمي . وإن كل ما نفهمه هو أن العلم لا يعنى بالضرورة إستخدام نفس طرق البحث في العلوم الإجتماعية كما هي في العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء ولا نفس الطرق التي نستخدمها في العلوم الاجتماعية كعلم الإجتماع والنفس وتطبيقها على علم السياسة ، إن الطابع العلمي لعلم السياسة لا ينقص أى شئ من طبيعته الفلسفية . ولكي تكون

النظرية جيدة الفلسفة يجب كذلك أن تكون جيدة العلم . ماهى الفلسفة إذن ؟ ثمة تعريفات متعددة للفلسفة فقد عرفت بأنها " دراسة أو علم الحقائق أو المبادئ التى تكمن وراء كل المعرفة أو الواقع " وثمة تعريف آخر " هى دراسة علم مبادئ فرع أو موضوع معين من فروع المعرفة " وثمة تعريف ثالث " انها حب الحكمة أو المعرفة خاصة تلك التى تدور حول الحقيقة الكلية " ومع كل هذه المفارقات فى التعريف فإن الفلسفة يمكن أن تعامل عموما على أنها معرفة من نوع عام جدا ويرى برتراند راسل أنها تتكون من شقين ليسا متساويين فى المزج أنها " نظرية حول طبيعة العالم " وهى مبدأ أخلاقى أو سياسى يختص بأحسن وأفضل طريقة للزيادة " وفى نفس السياق يذكر فريدريك Friedrich بأن الفلسفة عموما تعالج مشاكل يمكن إستيعابها داخل إطار المعرفة الموجودة ولكنها قد تتخطى ذلك وتثير أسئلة " ميتافيزيقية " وتحاول أن تعطى لها الاجابات سواء على أساس منطقى اسطورى . وفهما على هذا النحو ، تكون الفلسفة متميزة عن العلم . ويأتى علم السياسية للفلسفة بالحقائق والتعليمات بالتالى أو فى مقابل ذلك يتلقى عنها المقدره على معالجة تلك المشكلات بصورة شاملة وليست متفرقة . ولا يستطيع أى عالم سياسى أن يكون اطار من المعرفة السياسية دون ان تتوفر لديه فلسفة عامة عن الحياة وينطبق هذا القول على ارسطو ولاسكى أو أى مفكر سياسى حديث .

وإذا سلمنا بصدق ذلك واتخذناه كأساس للنقد وعلى إعتبار ان عدم كفاية الفلسفة السياسية وعدم ارتباطها بالموضوع يرجع فى الحقيقة إلى أن الفلاسفة لا يستطيعون أن يحييوا أنفسهم عن دراساتهم ويرد فريدريك على ذلك بأن عملية الحياد أو الانفصال هذه غير ممكنة . إن أمهر علماء السياسية لا يمكن

أن يبعدوا أنفسهم عن مناقشة مفاهيم مثل " السلطة " و "العدالة و " القيم " و " الجماعة " و " الدولة " و " المجتمع " وأن هذه المفاهيم لا يمكن أن تستخدم بالإشارة إلى فلسفة الكاتب العامة ولكن حتى لو حاول علماء السياسة الهروب منها (أى الفلسفة) فإن الفلاسفة أنفسهم لن يتوقفوا عن دراسة تلك المفاهيم .

الطابع المستقل ذاتيا لعلم السياسة : نورمان جاكبسون

Autonomous Character of Political Science :

Norman Jacobson

إن التوحيد الدقيق بين علم السياسة وكل من العلم أو الفلسفة يثير فى رأى نورمان جاكوبسون - خطر آخر ألا وهو إنتهاء النظرية السياسية بنوع من " العلمية " أو الأخلاقية " وقد حاول أن يوضح أن علم السياسة لا هو " علمية " ولا أخلاقية " ولكنه مستقل عن أى منهما ولكن شخصيته خاصة به . والذين يحاولون أن يصيغوه فى صورة " علم " كامل وأن يطبقوا عليه طرق البحث والإجراءات فى العلوم لا يفهمون دائماً معنى " العلم " ولا يستطيع الإنسان أن ينكر ميزة إستخدام المعرفة التى نتجت فى مجال ما لصالح فهم مجال آخر ولكن على الإنسان أن يفهم كذلك الفرق بين المجالين ويرى جاكبسون أن على علماء السياسة المعاصرين أن يجعلوا شيئاً آخر خلاف علم السياسة . ويقول " يبدو أن السياسة هى علم النفس أو الاجتماع أو فلسفة أخلاق - إنها أى شئ بهذا الشكل خلاف السياسة " . ويرى كذلك أن السياسة هى نوع خاص من النشاط الفكرى ويجب أن تدرس فى وضعها الصحيح . وإذا نزعنا " العلم " عن النظرية السياسية قد تصبح فضلات - بقايا - " أخلاقية " لا قيمة لها . وإذا نزعنا عنها " الفلسفة " فإنها تقللها حتى تصل إلى درجة طرق البحث . وأن أولئك الذين يؤكدون الطابع العلمى أو الفلسفى لعلم السياسة إلى درجة ربطه بأى منهما قد

يكون من أنصار " العلمية " أو " الأخلاقية ولكنهم بالتأكيد ينقصهم حساسية الإلتزام والتكريس لعلم السياسة ذاته .

إن وحدة النظرية السياسية يمكن تقديرها فقط من خلال الإعتراف بالسياسة كنوع خاص من النشاط والإلتزام بها .

وينما مهد جاكوبسون على إستعداده لإستعارة مفاهيم وأنوتات من العلوم الأخرى الا انه يحذر من الإستعارة بون تمييز .

وينطبق هذا ، على الألفاظ بالذات . بل أنه ينتقد أن تصبح لغة أو ألفاظ علم السياسة دقيقة وعلمية . إذ أن تعقيم اللغة يمكن أن تؤدي بسهولة الى تعقيم الفكر

Sterilisation of language Can Lead to Steralization of Thought
وإذا أخذنا جانب الموضوعية فيرى جاكوبسون أن عالم السياسة لا يستطيع أن يكون موضوعيا مثلما يحدث في عالم الفيزياء .

وإذا كان لا بد من عدم الخلط بين النظرية السياسية ، والعلمية " فيجب ألا نخلطه كذلك " بالأخلاقية " . إذ أن الأخلاقى من عاداته الوعظ المستمر ويبدو أنه يتجاهل حقائق الحياة السياسية وقد يقلل من مستوى النظرية الأخلاقية .

إن البحث عن نظرية سياسية هو البحث عن نظريات أخلاقية كما يرى هوبز ، وروسو وينكر جاكوبسون أن " النظرية السياسية لا هي " علمية " ولا " أخلاقية " سواء نظرنا إليها في هذا الجانب أو ذاك . وإن الإهتمام الجوهرى المركزى لها هو البحث عن الحكمة السياسية " .

وانتقد جاكوبسون كذلك فكرة وجود نظام مع التركيز على طرق البحث

ومناهجه والذي اتبعه السياسيون المحدثون . ورأى فيه منهجاً ساذجاً " لفهم السياسة . وان دراسة السياسة تتطلب شيئاً أكثر من المهارة والتدريب : انها تتطلب فكراً قادراً على التمييز ومعرفة أكثر من معرفة الأساليب وتتطلب خيالاً وخبرة والقدرة على الحكم بل وأكثر من كل ذلك للتكرس للموضوع . وان الهاوى الموهوب ذو الإهتمام الأصيل بالسياسة سوف يقدم الكثير فى فهم السياسة ، أكثر من المحترف غير الخيالى القليل الإهتمام .